Rewaq Baghdad center for public policy
مركز رواق بغداد للسياسات العامة

إدخال الهامش في المتن
(تشرين) واعادة الاعتبار للعمل السياسي

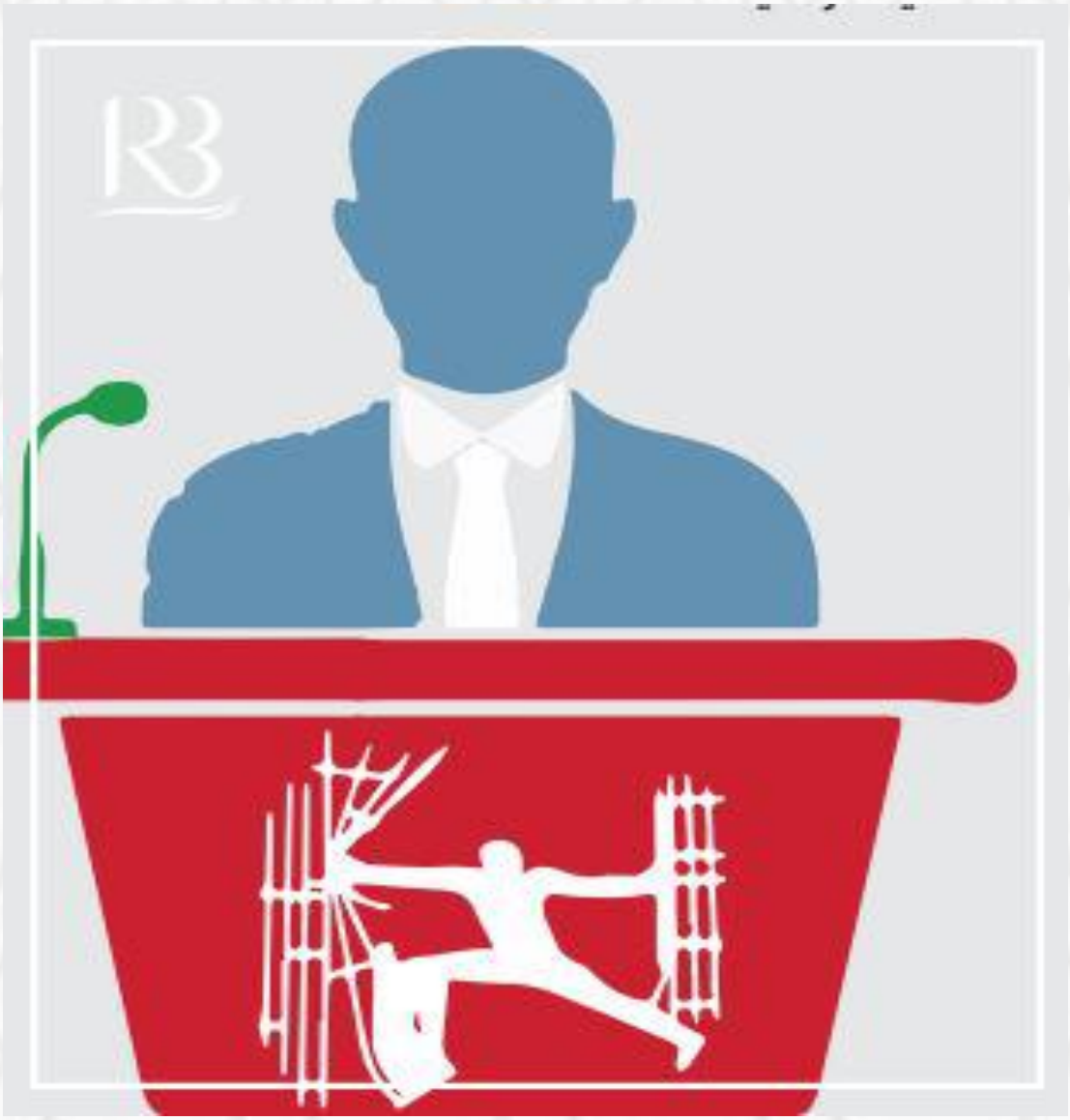

حارث رسمي الهيتي

من الممكن اعتبار تشـرين بمختلف توصـيفاتها (احتجاجات-انتفاضـة-ثورة) هي المرحلة الأبرز في الحركة الاجتماعية الاحتجاجية في العراق بعد سـقوط نظام صـدام حسـين، أهميتها هذه المرة تكمن في دوافعها التي غابت عنها التوجيهات الحزبية، أو الخلفيات الا يديولوج ية المحرّ كة، واكتفت في بدايتها على مجمو عة من الناس تختلف فئاتهم العمرية وخلفياتهم السـياسـية وانحداراتهم الطبقية ويتفقون على نقطة واحدة تقريباً أو يجمعون عليها الا وهي محاولة احداث تغيير في واقع لم يعد مرضـياً بالنسـبة لهم. ليبدو بعد وقت قصـير ان هذه الرغبة في التغيير لا تقتصـر على من كان في سـاحات التظاهر وحدها بل يشـترك معهم نسـبة كبيرة من المجتمع، حيث انها لم تعد تظاهرة (عاطلين عن العمل) أو (خريجين يبحثون عن تعيين) بل مجتمع يبحث عن أخذ دوره في المشاركة في الفضاء العام. هذا المجتمع الذي بقى طيلة سبعة عشر عاماً من عمر هذا النظام السـياسـي الجديد لا يشـكّل في النص الا هامشـه، حتى لاحت تشـرين وبدت و كأنها تر يد إد خال الهامش في المتن أو قلب النص بالكامل. وهي حد ثاً وإن اختلفنا حول مدخلا ته الكثيرة ومخر جا ته الا ان الأخيرة ما زالت فعالة وديناميكية و قادرة على فعل المفاجئة كما تشرين في بعض نقاطها ومنها إن الحكومة العراقية وسائر النظام السـياسـي في عراق ما بعد 2003 انتبه مجبراً الى ان العراق لم يزل يحتفظ بشـعبٍ من الممكن أن يقول كلمته العالية متى شـاء. وبعيداً عن كل الأشـياء التي من الممكن اعتبارها مخرجات هذا الحراك الاحتجاجي الواسـع والمتطوّر، كان التفكير بضـرورة انشـاء أطر مختلفة لهذا الفعل الاحتجاجي هو الأهم حسـب اعتقادي، أطر سـياسـية تمارس العمل السيا سي/الحزبي من أجل أن تتمكن من الدخول الى العملية السيا سية محاولة بذلك احداث تغيير من داخلها وبقوانينها، ولا مجال للحديث هنا عن مدى ما تحقق أو قد يتحقق، الا انها الخطوة الصـحيحة والسـليمة إن انتبهت السـلطة في العراق الى أهمية ذلك واقتنعوا بضـرورة "فتح المجال السـياسـي" كي لا نصـل الى مرحلة انغلاقه وهي المرحلة الاخطر في حياة النظم السياسية.

منذ وقت غير قصير تجري عمليات "شيطنة" مقصودة للعمل السياسي والحزبي في العراق، نعلم إن لهذا أسبابه التي لا مجال للخوض بتفاصيلها هنا، لكن هذا النظام المحاصصاتي/التقاسمي بين الاحزاب يعد واحد من أهم أسبابها، وهذا ما جعلنا نسمع أيام الاحتجاجات العراقية شعارات تندد بالاحزاب السياسية كل الاحزاب، وهذا الاخير يمثل خطراً ، علينا أن نقف بوجهه دائماً، حيث انه شعار غير واقعي ويحمل في طياته كثير من العبث. على اعتبار إن الاحزاب السياسية واحدة من أهم القاطرات نحو الجو الديمقراطي الحقيقي والسليم.

في الحزب السياسي والحاجة له:

في الكلاسيكيات عموماً وحتى الدراسات الحديثة توجد العديد من التعريفات للأحزاب السياسية وطريقة تكوينها ونشوئها ووظائفها، لكن أغلبها يتفق على الخطوط العريضة التي من الممكن اعتبارها مجتمعةً تعريفاً للحزب السياسي، والحزب السياسي يعني تجمع للمواطنين المؤمنين ببعض الافكار السياسية ويعملون جهدهم في سبيل انتصارها او تحقيقها، يحاولون حشد أكبر عدد من المواطنين الآخرين للايمان بهذه الافكار ويسعون معاً من اجل الوصول الى السلطة لتحقيقها وادخالها حيز التنفيذ على أرض الواقع، أو تعمل على التأثير على أصحاب القرار لتبنيها. وتجمّع المواطنين هذا هو تجمّع على أساس المصالح أولًا، ووظائف الاحزاب السياسية عموماً انها تعكس البناء الاجتماعي في الدولة لذلك يتحتم عليها أن تعمل على تحويل المطالبات الخاصة بجماعة من الجماعات الى مطالبات سياسية منظمة وتقديمها الى الحكومة اضافة الى انها تعمل وإن بصورة غير مباشرة على اضفاء نوع من الاستقرار المجتمعي طالما استطاعت تقديم مطالب الجماعات دون اضطرارهم الى فرضها باستخدام العنف (1) ولا تنتهي عند هذا الحد بل اعتبرها روبرت أ. دال ثاني نقطة من نقاطه الخمس التي يعتقد انها نقاط ما أن توفرت حتى يتوفر نظام حكم متعدد ومستقر ويصل الى درجة من الممكن اعتباره نظاماً ديمقراطياً (2)

ماذا حدث بعد تشرين؟

توصّل المحتجون -أو أغلبهم- الى حقيقة مهمة جداً، وأزعم انها تطرح لأول مرة، وهي فكرة ملخصها إن على هؤلاء المحتجين التفكير الجدي هذه المرة بضرورة ايجاد ممثل سياسي لهذه الحركة، صوت نابع من اتفاق بين المحتجين أنفسهم من الممكن اعتباره بشكل من الاشكال صوت يمثلهم، على ان هناك اتفاق مبدئي فيما بينهم جميعاً مفاده إن ليس بمقدور أي حزب أو حركة ناشئة أن تختزل تشرين فيها. ولا تدّعي أي منها انها الناطق الرسمي أو الوحيد. ومن الممكن أن تفضي هذه الحركة الاحتجاجية الى أكثر من معادل سياسي.

هذا الاستنتاج الذي توصل له ما يمكن أن نطلق عليهم أسم "التشرينيون" نابع من خيبة الأمل التي صفعتهم يوم علقوا آمالهم سابقاً على وعود كان قد قطعها هذا الجانب من الحكومة أو ذاك، وآخرها وأعتقد انها اقواها تلك التي وجهت لهم ابان احتجاجات العام 2015 بعد تجربة "سائرون" هذا التحالف الانتخابي بين الضدين الايديولوجيين (حزب استقامة الذي يمثل الجناح السياسي للتيار الصدري والحزب الشيوعي العراقي) هذا التحالف الذي كثيراً ما طُرح باعتباره ممثلًا لحركة الاحتجاج تلك وشارك في انتخابات العام 2018 ولم يتمكن لاحقاً من تقديم أي من الوعود التي كان قد تحدث بها قبيل الانتخابات. أو تلك التي كان ينتظرها من وثق به، والحديث هنا عن جمهور صوّت له من غير القاعدة الحزبية للطرفين.

وهنا كان لزاماً على المحتجين هذه المرة أن يتركوا تعليق آمالهم من جديد على احزاب أو حركات او تجمعات أخرى، والتفكير هذه المرة بالبديل الذي يصنعوه هم ويكونوا في صدارته، يشاركهم في ذلك كل اولئك الذين غابت ثقتهم بممثليهم السياسيين أو ما يطلق عليهم "ممثلي المكونات وزعمائها".

ما حدث بعد تشرين هو ما يسميه الآن تورين ولادة أو نمو الذات الفاعلة التي تتشكل وسط ارادة الافلات من القوى والانظمة والسلطات التي تمنعهم من أن يكونوا ذواتهم، أنظمة تعمل على تحويلهم الى مجرد مكوّن للنظام السياسي فقط (3) دون الالتفات ولو مرة الى مطالبهم ومتبنياتهم والعمل على تحقيقها أو حتى اشراكهم بقراراتها التي تفرض عليهم الالتزام بها.

.

.

.

.

المصادر:

1. سهام فوزي، التحول الديمقراطي في المجتمعات الأثنية : دراسة مقارنة العراق وجنوب افريقيا.
2. غيورغ سورنسن، الديمقراطية والتحول الديمقراطي- السيرورات والمأمول في عالم متغير.
3. الآن تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم .